

٤ - دانتى أليجييرى

والكوميديا الأثرية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

فردوس دانتى

في آخر المطهر أن دانتى تمسح من فُراتٍ (ليث) جرة
 نزلت ما في نفسه من أدوان هذه الدنيا التي لا يجوز لمن ينطوي
 عليها أن يجوس خلال الفردوس ... وهي جرة إلهية جمات
 من جسم دانتى هلاماً شفافاً وهَيُولِي تقيّة استطاع بعدها أن
 يرق في السماء ، ويعرج في الأثير ، في إريياريس : (١). وأخذ
 طيف يياريس يصعد في الأديم الأزرق الشرب بنضارة
 البنفسج ، وأخذ طيف دانتى يصعد في إثرها بقدره الآله
 الملى ، حتى كانا في السماء الأولى ، والفتاة الطاهرة في خلال ذلك
 تحده وتتلطف به ، وترفض عنه بعض ما كان يضيق به صدره من
 وساوس . (٢) إلى أن دخلت تلك الجنينة الصغيرة التي أرضها من
 فضة وأمارها من لجين ... جنينة القمر ! حيث تشرح يياريس
 لحبيها المشدوه سبب نكث الظلال التي تملو وجه السيار الصغير ،
 والتي يراها الناس من سكان الأرض في هذه الحياة الدنيا . (٣) وفي
 رحاب القمر ، يلتقي دانتى الفتاة بيكاردا دوناتى التي تأخذ معه في
 حديث طويل ، فتخبره أن هذا القمر هو جنة الساكنين الذين
 يذروا حياتهم للخير في همار الأولى ، وعاشوا عيشة كلها تقوى
 وكلها بر وورع ، ولكنهم ، وأسفاه ، لأمر ما ، لم يوفوا بكل
 ما نذروا من فعل الخيرات ، ثم تلفته إلى روح الأمباطورة
 كوستازا ، تمرح في بعض جنبات القمر ، وتلمب . (٤) وتنطلق
 يياريس ، وفي إثرها دانتى ، وكلما عمى أمر عليه جلته له صاحته ،
 (٥) حتى يكونا بعد رحلة معاوية جميلة ، في كوكب عطارد الذي
 يقع في السماء الثانية ؛ وثمة ، يلقيان ثلة من أرواح البررة الأطهار
 ويتبرع أحدهم فيسدى استمداده للإجابة عن أى سؤال يلتقى عليه
 من أمور الماضي أو الحاضر أو المستقبل . (٦) ثم يعرف
 دانتى أن الشخص الذى عرض عليه هذا العرض إن هو إلا

الأمباطور العظيم جوستينيان الذى يذكر للشاعر من أمور
 الحياة الأولى ، فيما يتعلق بشخصه الأمباطورى ، الشيء
 الكثير ، ويشرع بمد ذلك يمدده عن عظمة الرومان القدماء ،
 ويمدده فتوحهم وخوالد غزواتهم التي دوخواها أفاصى الأرض
 في ظلال بنودهم التي تحمل رمز رومة الخالد ... النسر ...

ويذكر له أن روح روميو فلنيف تمرح في رياض عطارد ذات
 الزهر والأفواف . (٧) وتفرق الأرواح عن دانتى ، وينطلق
 جوستينيان غير مستأذن ، ولكن شبكوكاً كثيرة تثيرها كلمات
 الأمباطور في نفس الشاعر من أجل الغداء البشرى ، فتشرح
 يياريس تقسمها واحداً فواحداً من نفس خليلها ؛ (٨) ويعرجان
 إلى السماء الثالثة حيث الكوكب الجليل التاللى . فينوس (الزهرة) ،
 وحيث يلتقى الشاعر صديقه العزيز الكريم شارل مارتل الذى
 يتحدث دانتى عن مملكته الواسعة المترامية الأطراف التي كان
 يسيطر عليها في الدار الأولى ، ثم يتغير الحديث فجأة إلى الأبناء

والأحفاد والسبب في اختلاف فطرتهم وطبائهم عن طبائع
 آبائهم (٩) ويعضيان فيلقيان روح ابنة الهوى كيونيزا Cionizza (١)
 التي طالما فتنت قلباً وعذبت بجمها أفئدة ، والتي كانت تملأ
 الأرض فسوقاً وتقمف المدائن دعارة ، ثم تابت وثابت ، وندمت
 على ما قدمت ، وأقبلت على فعل الخيرات ؛ وحدث أن ورثت عن
 أبيها عدداً من الأرقاء فنحنهم حريرهم ، وبذلك غفر لها وتقبل
 توبتها ، وهي في هذا المكان من فينوس لانقطع في درجة أعلى ؛
 ويعضيان فيلقيان فولكو الشاعر المنشد فيحدثهم عن الزانية ،
 خضراء اللدن ، رحاب Rabab التي تابت هي الأخرى فغفر لها ،
 وسكنت هذا الكوكب مع كيونيزا . وبعد أن ينتقد الشاعر
 فولكو بباروما وينى عليه تقاضيه عن استرجاع الأراضي
 المقدسة يعود فيتنبأ عن بعض الكوارث التي تترص به طى
 الغيب ، والتي ستحق سلطته . (١٠) ويعرجان صعداً فيكونان
 في الشمس (١١) التي يعتبرها دانتى السماء الرابعة ، وما يكادان
 يلفانها حتى تمدق بهم ثلة من اثني عشر روحاً ، ويتقدم أحدهم
 (توماس أكويناس (١٢) فيقدم أصحابه إلى دانتى ويخبره عن

(١) كان الشاعر الإيطالى الكبير سوردرلو أحد عشاقها ونحبة مندية
 من محباها المديدين

(٢) شاعر من العصور الوسطى وأحد اعلام النهضة

(الشرى) الذى هو السماء السادسة فى حساب شاعر الكوميديا وهناك يلقيان جموعاً آخره من أرواح الصالحين الذين حكموا بين الناس بالعدل ووزنوا بالقسط المستقيم . ويكون هؤلاء أنى توجهوا مكونين دائماً شكل نسر (مضرومة القديمة) . ثم ينتهى الفصل بحملة شعواء على رجال الأكليروس وما اشتهروا به من الطمع وحب الذات والتكالب على حطام الدنيا وجمع الأموال بالحق وبغير الحق ؛ ويخص دانتي رجال البابا بالصلح الأكبر من هذه الحملة (١٩) ويتكلم النسر الذى تكوّنته هذه الجماعة بلسان واحد بين ، فيقص على دانتي السبب الذى من أجله أخذ رهنماً لعظمة الرومان . ثم يتكلم دانتي كلام التشكك عما إذا كان محتملاً أن (يَخْلُصَ) ^(١) الرجل من الناس من عذاب الجحيم من غير أن يكون مؤمناً بالمسيح مصداقاً به ، فيبرى النسرى للإجابة ويذيل الريب من نفس دانتي ويخاطبه فى شأن أصحاب السيطرة والحكام من المسيحيين وما سيؤدونه من الحساب الثقيل يوم القيامة . (٢٠) وكذلك يمدح النسر عدل بعض الملوك وورعهم ، ويكون هؤلاء عين ^(٢) النسر نفسه ، وفى إنسان عين النسر يقف النبي داود ، وفى الدائرة المحيطة به يقف تراچان وحزقيال وقسطنطين ووليم الثانى ملك صقلية وزفيوس ... ثم يوضح له كيف وصلت أرواح هؤلاء إلى الفردوس وهم لم يؤمنوا قط بالمسيح « ولكنهم عملوا بما جاء قبله من لدن الرب فاستأهلوا دار الثابتة » . (٢١) ويسموان فى السموات العلى ، فيلن ان السماء السابعة التى هى سائرُن (زُحَل) حيث يسمى منه سلم ذاهب فى الجبل لا تترك آخره عينا دانتي . وفى زحل يلقيان أمماً من أرواح الصالحين الذين قضا حياتهم الأولى فى اعتزال وصوفية وتأمل . ثم يدنو منهما روح كريم تقى ، هو روح خليل المسيح الورع التقي بيرو داميانو (أحد كرادلة الكنيسة ومصلحها العظام) فيجيب على أسئلة كثيرة يوجهها إليه دانتي ، ثم يقترح فى ذم النفس الأخساء ورعاة الكنيسة الذين قنتهم الدنيا بزخرفها وصرقهم من وظائفهم الدينية وشغلهم عن هداية الناس . (٢٢) ويريان جموعاً أخرى من الأتقياء المتفكرين ومن بينهم القديس الأطهر بندكت Benedict

درجاتهم (١١) ثم يتوسع أكويناس فى سرد حياة القديس فرنسيس ، الرموز الملائكى للحب ، ويلحظ أنارة من الريب تنشب فى فؤاد دانتي فيحدثه عنها ويجلو له الحق الذى يترى فيه . (١٢) وتقبل ثلة أخرى من اثني عشر تقياً فيقدم أحدهم (القديس دومينيك) ويسرد أسماء أحبائه لدانتي . والقديس دومينيك هذا هو الرموز الملائكى للحكمة . (١٣) ويعود توماس أكويناس إلى حديثه مع دانتي ، وكلامه أنارة من الشك فى نفسه نياها بها وجلاها له ، وحذره من الرسواس وحذره من أن يحكم بقلبه أو عقله على شيء دون أن يدوسه ليصل إلى حقيقته . (١٤) ويعرز سليمان النبي من وسط الجماعة فيحدث دانتي عما يكون من مظهر الصالحين من عباد الله بمد البعث . ثم يفرجان إلى السماء الخامسة التى هى مارس (الريخ) فى زم دانتي ، ويريان ثمة أرواح الشهداء الذين حاربوا تحت رايات الصليب الخفاقة ، ولم يخشوا فى سبيل ربهم أن يجرهوا غصص الموت ... أولئك قد بدت عليهم سياء الصليب ، وما فتئاً أرواحهم ترسل فى الفردوس أناشيد الخلود الرنة تطزيها لبياد الله السمراء . (١٥) ويعرز من بين اللأسلف دانتي الصالح كاشيا جيئدا ، وبأخذ مكانه تحت الصليب ، ثم يتمرف إلى دانتي الذى يفرح به ويهش للقائه ، وبأخذ فى حديث طويل عن ماضى فلورنسا السعيد الحافل وينى على الخلف ما فرطوا فى جانب الوطن وما أوضوا فى الفتنة ، ومرجوا فى الضلالة (١٦) ويخبر دانتي عن يوم ميلاده ، ويصف له مجد فلورنسا ومدى حدودها فى أيامه والأسر العريضة التى كانت تزدان بها تلك المدينة الشقية التى انجطت أرومتها وقد طيب عندها واتضعت أقدار القروم من أهلها الأعلى (١٧) ويرسل كاشيا جيئدا جبل القول فيتنبأ لدانتي عما يترى به من غدرات الزمان والنق من حظيرة الوطن حين يعود أدراجه إلى الحياة الدنيا . ثم ينتهى ناحية ويتناول طرساً من أوراق الجنة ، وقلما من قصباتها ويشرح فى كتابة شعر طويل ريق . (١٨) ويعضيان فيريان طوائف شتى من أرواح المحاربين الشهداء الذين خاضوا معامع الحروب الصليبية يمرحون فى أفياء الجنات الوارفة التى يهتر عنها الريح ؛ ثم ترسل ياتريس مينيها العميقتين فى لاورد السماء ، وتشير إلى دانتي فيمرجان فى الأثير إلى جوبيتر

(١) الفسود من الكلمة منها الميحي

(٢) خيال سقيم طبعاً

هينات» (٢٨) ويؤذن لدانتى فيطلع إلى الوجود الآسمى ، ثم يطلع إلى الخورس الملائكى يرسل ألقانه الكنائسية الرائعة في قبة الفردوس . (٢٩) وتنتظر يياتريس في سماء الحق الآسمى (هكذا) فترى أن بضعة شكوك قد نفنت إلى فؤاد دانتى وظلت ثمة تساوره ، فتضحكه ، ثم تفجأ بما يفكر فيه ، ونجلوه ما نفذ إلى قلبه من ذلك الوسواس ، وتذهب في القول مذاهب شتى ، وتنتهي إلى ذم رجال الدين الذين شغلهم الدنيا عن نصره الانجيل . (٣٠) ثم يدخلان سماء المنتهى^(١) ذات السماء الساطع والضوء اللامع ، ويكاد نظره ينهر لولا أن تدركه يياتريس ... ويرى إلى نهر الضوء المتألق فينظر كيف ينتصر الملائك على شرور العالم وكيف ينتصر معهم المؤمنون المباركون . (٣١) ويتلفت الشاعر فلا يجد فتاة إلى جانبه ، بل يجد مكانها رجلاً طاعناً في السن إذا تفرس فيه عرف فيه القديس برنارد الذى يخبره أن يياتريس قد عادت إلى عرشها ثم يريه بركات العذراء مريم عليها السلام (٣٢) ثم يريه كذلك أرواح القديسين الذين وردت أسماؤهم في المهدى (الجديد والقديم) (٣٣) ثم يدلف القديس برنارد نحو البتول الكريمة فيرجوها أن تمنح بركتها لدانتى وتسبغ عليه من نورانياتها حتى يستطيع التأمل في عظمة الله . وتهب له مريم ما سأل ، فينكشف الغطاء ويلقى دانتى ربه فيصلى له ويضرع إليه أن يهبه إشرافه يضيها على كتاباته وأشماره . ثم يؤذن له فيخطف لمحة من الثالث المبارك العظيم الذى يتحد فيه الله القدير (جل وتعالى) بالانسان

ويبقى دانتى ، وتنتهى رؤياه العجيبة . وسرى من الكلمات التالية كيف اقتبس الشاعر صور القرآن الكريم وأخيلة الانجيل الجميلة ، وطريقة فرجيل في الجزء السادس من الأنييد ، فتم له هذا العمل الفريد (لها بقية)

د . غ

(١) نلت القارىء إلى سورة النجم من سور القرآن الكريم

مجموعات الرسائل

عن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا أجرة البريد
عن مجموعة السنة الثانية (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
عن مجموعة السنة الثالثة (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد من كل مجلد في الخارج ٢٥ قرشاً

الذى يذكر لدانتى أسماء أصحابه الراضين في ظلال الرب في فراديس زحل . ثم يستطرد فيذكر أن المسوح والزفارات وسائر ألبسة القساوسة ورجال الكنيسة لا قيمة لها ما لم ترزها مسوح من الخلق الكرم والتقى والنقاء . ويزيد فيقبح في خراب ذم الرهبان والأجبار ونساق ضارهم . وينطلق الألفان فيعرجان إلى السماء الثامنة ، سماء الأنجم الثابتة ، التى يدخلانها من الهنسة . ومن ثمة يرجع دانتى بصره كرتين إلى الوراء فتبدهه المسافة الهائلة بينه وبين الأرض (٢٣) وهناك ، يرى المسيح (صلوات الله عليه) يأخذ بناصر الكنيسة ويشد أزرها ، ومن حوله الملائك الأطهار يسبحون لله ويلهجون بحمده . ثم يسمو السيد المسيح فيمرج في السماء العليا وفي أثره أمه البتول مريم ، شاخصة إليها أبصار الجميع . (٢٤) ويتقدم القديس بطرس من دانتى فيسأله بضعة أسئلة يبرف بها إخلاصه وتقائه إيمانه ، ويحجب دانتى فيقنع القديس بالكلم الطيب والبيان البرى . (٢٥) ويتقدم القديس جيمس فيسأل دانتى عن الأمل ، ثم يبدو القديس يوحنا فيدهش دانتى لرؤيته ، ولكن القديس يححو دهشه ويذكر له أنه عرج إلى السماء بروحه فقط ، ولم يمرج إليها بروحه وجسمه إلا المسيح وأمه مريم . (٢٦) ثم يسأله القديس عن الفضيلة فيجيب دانتى إجابات نامة . وينظر الشاعر فيشده أن يرى أبانا آدم ، فيتأدب ويتقدم إليه ، فيخبره أبو البشر عن كيفية خلقه وإقامته في الفردوس ومدى إقامته فيه ، ثم ما تلا ذلك من خروجه منه وسيبه ، ثم عوده إليه ، ويتظرف فيذكر له اسم اللسان الذى كان يتكلم به في بدء الخليفة^(١) ويعود القديس بطرس فيصلى حديثه ، ويحمل على خلفه حملة شعواء لما اتصفوا به من جشع ذهب بزواء الأبرشية الرسولية ، وينسى دانتى فيجحد نظره في يياتريس غافلاً عما أوصته به في أول الرحلة إلى الفردوس فتأمره أن يفضى فيقبل ثم يمرجان إلى السماء التاسعة حيث يطلمان على الحق الجلى من أمر هذا الخلق ، وحيث يشهدان فطرة الطبيعة في جماع فضائلها ، وتسخط يياتريس على الانسان « ما أكفره ... يكون أمله الخير بيننا والشر بيننا ، ثم يدلف بلمه في طريق الشر ، مضحياً هذا الفردوس من أجل هينات

(١) تعتبر هذا الفصل رداً على مقالات للمسلمين في آدم وسنرى لذلك في حينه . وتعتبره أيضاً الوصى للشاعر جون ملتون بكتابة قصيدته (الفردوس المفقود)